

الحرف والصناعات التقليدية والهوية "دراسة أنثروبولوجية في الانتماء العائلي بمدينة تلمسان

الدكتورة دريسي ثاني سلاف*

جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر

drici_tani@live.fr

<https://orcid.org/my-orcid?orcid=0000-0001-5929-585X>

تاريخ القبول: 2022/02/13

تاريخ الارسال : 2022/02/01

ملخص:

تهدف من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن دور الحرف والصناعات التقليدية في تعزيز الهوية والانتماء العائلي كونها تعد جزء هام من التراث الحضاري حيث تمد أفرادها التميز الذي يعمل على تماسكه واستقراره وبلورة هويته وذلك من منطلق أن هذه الحرف والصناعات التقليدية جزء من التراث الشعبي بما يمثله من إبداع ثقافي متواصل وممتد عبر القرون، وكذا نحاول الكشف عن أهم أنواع الحرف والصناعات التقليدية التي يتميز بها المجتمع التلمساني والبحث عن كيف ومتى تكون الحرفة مرتبطة بالهوية.

الكلمات المفتاحية: الحرف والصناعات التقليدية، التراث، الهوية، الانتماء العائلي، التنشئة الاجتماعية.

مقدمة:

يسهل شعور الفرد بالانتماء إلى جماعة معينة تتميز بهوية خاصة، والتطبع بطابع ثقافة معينة يسهل عملية التواصل والتعاون من أجل تحقيق هدف مشترك والتي تكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية بدءاً من العائلة التي تعد البنية الأساسية والأولى لتنمية أفرادها وتكوين هويتهم ويؤدي هذا الشعور بالانتماء إلى تقوية الهوية الجماعية، فهي ليست وجوداً حقيقياً بل بناء ثقافي يعتمد كمرجعية لتفسير الأشياء التي تحيط بنا، كما تعبر أيضاً عن التميز والاشترك في مجموعة من القيم، العادات، والمعتقدات، والموروث الثقافي الذي تتميز به كل أمة وتفتخر به كونه يعد ثروة ثقافية منقولة تعكس نشاطهم المعرفي وطريقة تفكيرهم وظل متوارثاً جيل بعد جيل، من ثم يبقى حياً في ضمائر وعقول كل شعب أو جماعة بشرية ومن بينها الحرف والصناعات التقليدية التي تعد من النشاطات العريقة التي تمتد

* المؤلف المرسل: دريسي ثاني سلاف، الايميل: drici_tani@live.fr

جدورها إلى الماضي السحيق والتي خلدتها العبقريّة الشعبية الجزائرية عامة والتلمسانية خاصة، فهي تمثل عنصرا أساسيا في ثقافتنا وتأكيد لهويتنا، كما تتميز بجمال رائع وذوق رفيع فهي مستمدة من مقوماتنا الثقافية المشتركة وتمثل أهميتها الكبرى في تحقيق التنمية الاقتصادية وتحقيق المتطلبات المادية للعديد من العائلات. تُهدف من خلال هذه الدراسة الكشف عن دور الحرف والصناعات التقليدية في تعزيز هوية الانتماء العائلي في المجتمع التلمساني، وعرض أهم الصناعات التقليدية التي تتميز بها مدينة تلمسان، ولأجل ذلك طرحنا الإشكالية التالية:

- كيف تساهم الحرف والصناعات التقليدية في الحفاظ على هوية الانتماء العائلي في المجتمع التلمساني وكيف تداولت العائلات التلمسانية على الحرف التقليدية وأعطت لنفسها إسمًا؟
المنهج:

إن طبيعة الموضوع فرض علينا الاعتماد على المنهج الكيفي لغرض الحصول على فهم أفضل متعمق ووصف شمولي لمشكلة الدراسة وللحصول على معلومات أدق حيث يعرف المنهج الكيفي على أنه منهج علمي يسعى إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة وعليه ينصب الاهتمام على حصر الأقوال التي تم جمعها أو السلوكيات التي تمت ملاحظتها (موريس أنجرس، 2006) ص 100، اعتمدنا على المنهج الوصفي لغرض وصف أنواع الحرف والصناعات التقليدية بمدينة تلمسان وتوثيقها وكذا المنهج البنوي الوظيفي والتعامل مع الحرف والصناعات التقليدية من زاوية وظيفتها الثقافية من خلال رصد دورها في تعزيز هوية الانتماء العائلي بمدينة تلمسان.

ومن خلال هذا المنهج نحاول الإجابة على جمع من التساؤلات على رأسها كيف ومتى تكون الحرفة مرتبطة بالهوية؟

تقنيات البحث:

إن النزول للميدان لاختبار الشكل النظري الخاص بالبحث يتطلب التسلح بجملة من التقنيات المناسبة لجمع المعطيات بهدف تلبية الغرض لذا اعتمدنا على الملاحظة والتي يعرفها صلاح الدين شريوخ " هي مشاهدة الواقع على ما هو عليه في الواقع أو في الطبيعة بهدف إنشاء الواقعة العلمية (صلاح الدين شريوخ 2003)، ص 28

تعد الملاحظة تقنية أساسية في فهم الظاهرة المدروسة وجمع الحقائق والبيانات الوصفية، اعتمدنا علي الملاحظة لوصف النشاطات الحرفية التقليدية. كما اعتمدنا على تقنية المقابلة وهي أداة مباشرة للبحث والتقصي للحصول على المعلومات كونها تعد محادثة موجهة يقوم بها فرد مع آخر أو مع آخرين للاستخدام في بحث علمي أو في التوجه. والتشخيص والعلاج أو من أجل معرفة حقيقة أمر محدد وجوهر المحادثة السؤال والجواب (نفس المرجع 352) يتم مساءلة الفرد بهدف التعرف على كيفية مساهمة الحرف والصناعات التقليدية في تعزيز هوية الانتماء العائلي وبنينا دليل المقابلة على أساس المتغيرات والتي تفترض وجود علاقة بينها والتي تهدف من ورائها تحديد تجليات الحرفة، الهوية والانتماء العائلي. أجرينا مقابلات مع مجموعة من الحرفيين والتي لم تكن تجرى شكل أسئلة مطروحة سؤال وجواب بل بطريقة عفوية حتى لا يشعر البحوث بالملل والانزعاج. عينة الدراسة:

ثم اختيار العينة بطريقة مقصودة تمثلت في مجموعة من الحرفيين حددت ب حوالي 90 مبحوث من إناث وذكر منهم المتزوجون والغير المتزوجون الأرامل والمطلقين من المدينة وتراوح أعمارهم ما بين (22، 75 سنة) متخصصين في الصناعة التقليدية مستواهم التعليمي متباين ما بين الابتدائي والثانوي. أولاً-ضبط مفاهيم الدراسة:

1- مفهوم الحرفة:

الحرفة هي إنتاج المنتجات الأولية إنتاجاً يدوياً صغيراً بمساعدة أدوات عمل بسيطة فهي إذن نتاج تحويلي للمواد الأولية يجري بكميات صغيرة وبطريقة يدوية باستخدام أدوات عمل بسيطة وعلى عدم وجود تقسيم العمل داخل الاستثمار، والحرفة هي كشكل من أشكال للإنتاج تميز مجتمعات ما قبل الرأسمالية، أبسط شكل للحرفة هو إنتاج الصناعات المنزلية من أجل تلبية احتياجات المنتجين الخاصة وهو ذو طابع مساعد ويلائم الاقتصاد الطبيعي (علي بزي (2015) ص 188)

والحرفة هي مهنة الحرفي الذي يعمل لحسابه الخاص وحيداً أو بمساعدة آخرين عمله يدوي وهو الذي يسوق إنتاجه، والحرفية هي نظام اجتماعي اقتصادي قوامه وحدات إنتاجية تضم المشتغلين في حرفة

واحدة ويسمى عند بعض الاقتصاديين نظام الأسر الصناعية فكل حرفة تشكل اتحاد يضم العاملين فيها، ويقوم الإنتاج على ثلاثة طبقات تجمعها وحدة المصلحة واتحاد الحرفة وهي: رؤساء العمل والصناع والمتمرنون (نفس المرجع، ص189)

وبالتالي يمكن القول أن الحرفة يقصد بها كل الأعمال اليدوية التي يزاؤها الحرفي مستخدماً في ذلك مهاراته اليدوية وإبداعاته دون الاعتماد على الآلة ويتولى الحرفي العمل اليدوي بنفسه أو بمساعدة أفراد عائلته كما تعتمد على الرأس المال البسيط ومواد تتميز بالخبرة المتوارثة.

2- مفهوم الصناعة التقليدية:

تتكون الصناعة التقليدية من مصطلحين الصناعة والتقليد فبالنسبة للصناعة يقصد بها حرفة الصانع، وعمله، والصنعة يصنعه فهو مصنوع وصنيع عمله والصنيع هنا فاعيل بمعنى مفعول أي مصنوع، صنعت الشيء أصنعه صنعا، والصانع، عامل الشيء والصناعة حرفته كما عرفها العلامة ابن خلدون قائلاً: أعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري ويكونه عملياً هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل على استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد مرة أخرى ترسخ صورته على نسبة الأصل تكون الملكة ونقل المعايينة أو عباً وأتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عن الخبر على قدر جودة التعليم وملكة التعليم في الصناعة وحصول ملكة (عبد الرحمن ابن خلدون 4)

تناول العلامة ابن خلدون في تعريفه للصناعة نقطتين أساسيتين أولاهما أن الصناعة ملكة يكسبها الإنسان بتكرار استعمالها، فهي ليست فطرية، أو بمعنى آخر هي عمل تطبيقي وممارسة فعلية الأمر الذي يجعل اكتسابها عن طريق التعليم النظري ويشير العلامة ابن خلدون في بقية التعريف إلى نوعين من الصناعة إذ يقول: ثم أن الصنائع منها البسيط والمركب والبسيط، وهو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكفايات... وتعتبر الصناعة اليدوية قديمة المنشأ ويرجع ظهورها إلى ظهور الإنسان نفسه.

أما مصطلح التقليد يعني لغة وضع القلادة في العنق مصدر قلد وهو مأخوذة من القلادة التي في العنق، فيكون التقليد هو ما جعل في العنق وأحاط به ويقال قلد الشيء على الشيء لواه وأداره وقلده الأمر: ألزمه إياه وهو مثل بذلك (ابن منظور 3719)

ويعني المحاكاة والسير على طريقة السابقين والافتداء لهم ونجح نجهم، وقلد إنسان إنسان آخر أي فعل مثله، حاكاه وتأثر به كرر ما فعله السابقون من الآباء والأجداد، وقد اتسعت الدائرة الدلالية والرمزية لمصطلح التقليد ليصبح عنوان لمذهب فكري وأدبي يدعى "التقليد" والذي قامت أسسه المذهبية على فعل المحافظة والاستمرارية لقيم قديمة تحث وقع وإيقاع الاتصال والتواصل التاريخي والثقافي بين زمنين زمن الحاضر بزمن الماضي، وبين جيلين جيل الخلف بجيل السلف وبين ثقافتين ثقافة معاصرة وثقافة قديمة، ومن هنا جاء التقليد والتقاليد وتعني الارتباط والتقليد بكل ما هو متوارث وقديم.

كما نجد تعريف آخر للتقليد، أنه سلوك أو نمط سلوكي يقبله المجتمع دون دوافع أخرى عدا التمسك بسنن الأسلاف (أحمد زكي بدوي (1970) ص 437)

بالتالي يمكن القول أن الصناعة التقليدية تعني كل ما اشتغل به الإنسان ومارسه على طريقة الآباء والأجداد، ومن أسمائها الحرفة لأن الإنسان ينحرف إليها ويميل.
3- الهوية :

ظل مفهوم الهوية لدى طويل مفهوما هامشيا في العلوم الإنسانية، إلا أنه شهد دخول مفاجئا وكثيفا بدءا من التسعينات "هوية" مصدر مشتق من الهو، كما تشتق الإنسانية من الإنسان والهوية هي وحدة الأنا (الذات) وأساسها، كما تميز الفرد عن غيره من خلال مجموعة من المميزات والخصائص تمثل (في) الاسم، الحالة العائلية، الجنسية،... (لزهرة مساعدي (2013) ص12) وبالتالي يمكن القول أن الهوية هي تمثلات الفرد عن نفسه وتمثلات الآخر عنه، وما يميزه عن الآخرين .
4- الانتماء:

لغة: جاء في لسان العرب [i] نَمِيَ ينمي نميا ونماء: زاد وكثر و ربما قالوا ينمو نموا... ويقال نماه الله فيعدى بغير همزة، و نما ه فيعدى بالتضعيف... و أُنميت الشيء ونميته: جعلته ناميا... ونمي الحديث ينمي : ارتفع و نميته : رفعت، و أبلغته على وجه النميمة و الإشاعة... يقال نُميت الحديث أي رفعت وأبلغته ويقال انتمى فلان الى فلان إذا ارتفع إليه في النسب... و كل ارتفاع انتماء... ويقال للكلمة انما لكثيرة النوامي وهي الأغصان، واحدها نامية... و رميت الصيد مأتميته: إذا غاب عنك ثم مات... الإنماء: أن ترمي الصيد فيغيب عنك فيموت ولا تراه و تجده ميتا... وانتمى: انتسب، اعترى: (انتمى إلى فلان) منتم، منتسب... انتماء: انضمام وانتساب إلى جماعة الخراط في جماعة... ويتضح مما ورد في

المعاجم بأنه كاد أ، يجمع واضعوها - ومؤلفوها على أن الانتماء مصطلح متعدد الدلالات، و أهم هذه الدلالات: الانتساب، الارتفاع، حمل الشيء على الشيء (نفس المرجع ، ص4)
5- الانتماء الأسري:

الانتماء الأسري هو أول انتماء للفرد ذلك الانتماء القسري الذي لا ارادة للفرد فيه - الذي ينطلق منه الى بناء انتماءات أخرى، مما يعني أن الانتماء ظاهرة تتطور بالفعل الانساني(نفس المرجع، ص3)

ثانيا-أهم أنواع الحرف التقليدية بمدينة تلمسان:

تميزت مدينة تلمسان بالعديد من الحرف التقليدية، وتعددت معها أصناف الحرفيين العاملين في قطاع الصناعي والحرفي فقد كانت ولا زالت مركزا لحرف يدوية أصيلة يمارسها السكان ناهيك عن مؤسسات التكوين المهني التي تعمل على الحفاظ على الموروث الثقافي الصناعي للمدينة وترقيته وحمله للأجيال ومن هذه الحرف نجد:

1- الحرف النسيجية:

تعرف مدينة تلمسان بفنون كثيرة أهمها فن النسيج على نوعيه سواء تعلق بالألبسة النسوية من أكثر لباس النساء عراقا في العالم الإسلامي نظرا للحضارة الراقية التي بلغتها المنطقة واحتكاكها بالحضارات التي مرت بها(محمد العربي حرز الله(2011)،ص 426)

أ- اللباس النسوي:

-لباس الشدة:

فالشدة التلمسانية: لا تتكون من قطعة واحدة بل من مجموعة من القطع التي تشكل لباسا واحدا متميزا يكاد يقتصر على تلمسان ومنطقتها وهو لباس أميربي موروث عن أميرات العهود الزيرية المختلفة بل هو نتاج تراكم الحضارة الإسلامية التي كانت بالمنطقة مسرحا لها عبر تداول الدول والملوك. وتتألف الشدة التلمسانية من فستان عريض الكمين مصنوع من قماش رقيق الخيوط مزود بالدنتيل ومرصع باللالئ الثمينة (نفس المرجع،ص 432)

إنتاج علوي محروطي الشكل مطرز بالخيوط الذهبية وينتهي في قاعدته بقلادة ذهبية من الذهب الخالص ومرصعة هي الأخرى بالأحجار الكريمة وتعرف بالخرصة.

- الرداء: وهو ثوب من الحرير الخالص المطرز بالذهب.
-المثقل: وهي بمثابة حزام عريض يوضع على الخرص.
-القفطان أو الجوهر وهو يوضع على الصدر، ويصنع عادة من القطيفة الثمينة المرصعة.
-الحذاء وهو الآخر مطرز بالذهب والجواهر لتكتملة الشدة.
ولا تعتبر الشدة لباسا يوميا وإنما لباس خاص للمناسبات والأعراس ويكاد تكون قصرا على طبقة معينة نظرا لتكاليفه الباهظة (نفس المرجع 436)
- البلوذة التلمسانية: وهي لباس تقليدي نشأ في تلمسان ثم انتقل إلى وهران وأصبح يعرف بالبلوذة الوهرانية.
- ب-الزربية التلمسانية: تعتبر صناعة الزربية التلمسانية حرفة حضرية معظم من يهتم بها النساء أكثر من الرجال ولا يكاد بيت قديم يخلو من منسج، لكن هذه الصناعة العريقة تراجعت بشكل ملفت للانتباه بسبب ظهور المكنة البلدان المنافسة وغلاء المناطق الجنوبية، حيث تتوفر المادة الأولية نبات الحلفاء.
- 2-صناعة الأواني الفخارية: تعتبر منطقة مسيردة بالذات وهي منطقة جبلية مفخرة وطنية لصناعة الفخار التقليدي مثلها مثل منطقة ندرومة العريقة في هذه الصناعة.
- 3-صناعة الحلبي:
- تعتبر مدينة تلمسان بلا منازع رائدة في صناعة الحلبي الذهبية والفضية، وهي صناعة متأصلة بالمدينة منذ القدم نظرا لما تداول عليها من ملوك وسلاطين وأمراء عبر حضارات مختلفة (نفس المرجع 443)
- 4-صناعة الأثاث التقليدي: ولا سيما الأثاث النقوش والمبطن بالجلد ويعتبر أثاث المنطقة من أجود وأجمل التحف التي توجه إلى المؤسسات السياحية.
- الطرز: الطرز بمختلف أنواعه وأشكاله سواء كان بخيوط الذهب أو الحرير الخالص، وسواء كان على الألبسة الراقية أو السروج الفاخرة فهو صناعة تقليدية تلمسانية بالدرجة الأولى تنسجم مع ماضي المدينة.
- 5-صناعة الأواني النحاسية:
- صناعة النحاس هي الأخرى من الصناعات التقليدية المنتشرة منذ القدم، حيث يتم نقش الأواني النحاسية وتحويلها إلى تحف نادرة للزينة أو للاستعمال في المحلات السياحية العالية (نفس المرجع 445)
- ثالثا-تجليات الحرفة وهوية الانتماء العائلي:

أ-توريث الحرفة: لكل أمة تراثها المحفوظ الذي يغطي مختلف جوانب الحياة والتراث الشعبي بمختلف أنواعه وأشكاله يعد جزءا منه إرثه الحضاري وهو ثمرة فكرها وعقائدها وحصيلتها العقلية، الروحية والإبداعي (عائشة غطاس (2007)، ص 157)

والمجتمع الجزائري عامة والتلمساني خاصة يتميز بموروث ثقافي متنوع مند القدم وتمسكه بعاداته وتقاليده والتفاعل الاجتماعي بترائه الثقافي المادي المتمثل في الحرف والصناعات التقليدية التي تعتبر منتج فريد ومتميز ينتج من بيئة محلية خاصة بمكوناتها الطبيعية والثقافية، وهذا يسمح للمنتج أن يصنع ضمن معايير مرتبطة بمعرفة مميزة وإبداع محلي ينتج عنه تصاميم منفردة ذات ميزة تنافسية من حيث النوعية (التصميم الألوان والرموز) والتي لازال يحافظ عليها إلى وقتنا الحالي و تتوارث عبر الأجيال.

فالتنشئة الاجتماعية لها دور فعال والتي بمقتضاها يبني الفرد(الحرفي)هويته وشخصيته عبر تعلمه وتفاعله مع أسرته الحرفية التي تتيح له استدخال نسق القيم والمعايير الحرفية بهدف تحقيق اندماجه وتوافقه مع بيئة العمل والتنظيم الحر في فعلية التنشئة الاجتماعية بمعنى الأنتولوجي والأنتروبولوجي وهي التكيفات التي يجب أن يقوم بها الفرد اتجاه جماعته ذات الأهمية في جعله ذات وظيفة كاملة في المجتمع فهي الأسلوب الذي يخلق به المجتمع تكامل أفراده والعملية التي يتعلم بمقتضاها الأفراد التكليف مع المجتمع كما أنه يتماهى نفسيا وذهنيا مع النحن (أيكه هولتكرانس(2007) ص 136)،وبذلك تكون القرابة ساهمت في ضمان سيرورة التنشئة الحرفية وترسيخ قيمها ومعاييرها للجيل الصاعد وهذا ما أكده ماكس فيبر حينما أشار إلى أن اختيار القطاع الوظيفي أمر تحدده خصوصيات الذهبية التي تتأثر بظروف الوسط المحيط أي نمط التربية التي يرسخها المناخ الديني لدى الطائفة أو الوسط العائلي(ماكس فيبر(1990)ص 18)

وبالتالي بالوسط الذي يعيش فيه الفرد يؤثر في اختياره لوظيفة عن طرق التنشئة الاجتماعية وعن طريق ما أطلق عليها بيار بورديو بال **Habitus** يكتسب الحرفي حرفة والده يمارسها بدون وعي وسط عائلته بحيث تكون الحرفة ثقافة وليست فقط مهنة تتميز بها العائلة الحرفية وغيرها من العائلات وبفضل الثقافة المشتركة تتسنى لهما التواصل وتعزيز الانتماء، وبالتالي يعد الهايبيتوس بنية تقوم بتنظيم أشكال من الممارسات والمتمثلات وتعميمها، وهو نتاج الظروف الحياتية النابعة من مواقع الغير وظروفه الخاصة(خالد الغسان(2015)ص 10)

يتضح أن أغلبية الحرف متوارثة تعبر عن مجموع الخبرات والمهارات التي ورثها الحرفيون من آباءهم عبر التنشئة الاجتماعية وفي هذا السياق تقول "عائشة عطاس" من التقاليد الراسخة لدى التنظيمات الحرفية وراثتها الصنعة في الأسرة الواحدة وتقنياً محصورة في نطاقها العائلي وهو ما يترجمه المثل الشعبي المتداول "شكون عدوك صاحب صنعتك" (مرجع سابق عائشة عطاس، ص 157) لم تكن هذه الصنعة مهنة بل كانت ترمز للمكانة الاجتماعية للعائلة الحرفية والتميز لما كانت تمارس بمهارة وإتقان.

كما نجد عائلات حرفية تلمسانية برعت وتخصصت في امتهان حرفة معينة منها:

- عائلة بن قلفاط: تخصصت في صناعة النحاس والنقش على الخشب.

اشتغل الوالد محمد بن قلفاط خلال أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هذا الفنان الحرفي في تجديد التحف والنحاس والإنجازات اليدوية المختلفة الخشبية والمعدنية أما ابنه أيوب بن قلفاط تولاهما في الفترة ما بين 1920 و 1926.

- عائلة بن ديوبس، تخصصت هذه العائلة في الطرز بجيوب الذهب والفضة (المجبود والفتلة) وتعد هذه العائلة من أبرز العائلات الحرفية بمدينة تلمسان، والتي اشتهرت بالطرز على القماش وتوارثها أب جد بداية بالجد الحاج محمد بن ديوبس المولود سنة 1925، ثم ورثها عنه ابنه شكيب بن ديوبس وهو بدوره ورثها لأبنائه ولديهم محل خياطة وبيع الألبسة التقليدية بالقيسارية.

- عائلة بن منصور تخصصت في صناعة الحلبي التقليدية والحرف الجلدية وتعد هذه العائلة إحدى العائلات التلمسانية التي اشتهرت منذ القدم بصناعة الحلبي التقليدية، بحيث يعتبر الحاج بن منصور الجد الأكبر أول من استعمل مادة الفضة في صناعة الحلبي التقليدية.

- عائلة العشعاشي، التي اشتهرت منذ القدم بصناعة اللباس التقليدي الحايك والذي أخذ هذا اللباس المشهور بمدينة تلمسان اسم حايك العشعاشي اسم صانعه.

- عائلة البريكسي، اشتهرت هذه العائلة في صنع الزربية وعائلة بن شيبوب الدرازين تخصصت في صناعة الحنبل* والبورابح*.

كان ممارسة النشاط الحرفي لهذه العائلات هو نشاط عائلي وراثي، ولازال يورث للأحفاد ويصروا الآباء على تلقينهم أسرار الصنعة يمارسونها بفخر واعتزاز يعتبرونها أمانة الأجداد وهذا يوضح بوجود رابط أخلاقي وروحي بين الحرفي وحرفته كونهم لا يتقنون مهن أخرى، يحملون في اللاشعور شيئاً من هذه الحرفة،

وهذا يوضح بأن النشاط الحرفي بمثابة الرابط الاجتماعي والتاريخي الذي يلعب دور الموجه الحقيقي للحفاظ على الهوية، وبالتالي يمكن القول أن الحرفة تحمل قيمة معنوية أكثر منها مادية. وبذلك يمكن القول أن العديد من العائلات التلمسانية لازالت تحافظ على حرفة الأجداد وتحرص على توريثها للأحفاد فهي ليست مهنة لكسب الرزق فقط وإنما يعتبرونها أمانة الأجداد وتراث تفتخر بها خاصة كبار السن الذين يمثلون الجيل الأول والجيل الثاني لازالوا متمسكين بحرفهم رغم الصعوبات والعراقيل التي تواجههم، فالتماسك يحتاج إلى محور يدور حوله ومنه يستمد قوته وشدته وحيويته والعائلة الحرفية تتماسك من خلال توارث الحرفة إذ يكون الاشتراك في القيم والعادات والرموز وبذلك تصبح الحرفة إرث يحمل قيمة تخلق التميز للعائلة الحرفية، ويحدث إعادة إنتاج الرأسمال العائلي من خلال توارث الحرفة من جيل بعد جيل.

2- التسمي بالحرفة والانتساب إليها.

مثل ما نجد الانتساب للقبيلة أو المدينة أو الانتساب الولد لأبويه نجد أيضا الانتساب لصناعة أو حرفة معينة بحيث تأخذ الحرفة محل الاسم العائلي، وبالتالي تكون الحرفة كعنصر مميز للهوية، فالانتساب هو علاقة منطقية بين العضو والبيئة التي ينتمي إليها هذا العضو، كما يعني الانتساب حاجة الفرد إلى الارتباط مع الآخر من أجل العمل المشترك يجمع بينهم (الزهر مساعديه (2013) ص 19) يستعمل مصطلح النسب أو النسبة للدلالة على الانتماء والقرابة العائلية Lien de la parenté، فالنسب هو الصلة والأصل العرقي العائلي La généalogie الذي انحدر منه الشخص (محمد سعيد (1999) ص 119)

انتسب العديد من الحرفيين بمدينة تلمسان إلى الحرفة التي كانوا يمارسونها وبرعوا في امتهاتها نجد مثلا "ميلود الحسان" كونه يمارس مهنة الحلاقة منذ القدم وتميز بها حتى لقب الحسان أي الحلاق جاء اسم الحرفة مكتملا ومميزا لاسم أفادت التعريف أصبحت الحرفة عنصرا مميزا للهوية.

كما مثلت الحرفة للعديد من أصحابها رأس مال رمزي والذي يعتبره بورديو هو مثل أي ملكية أو أي نوع من رأس المال الطبيعي أو اقتصادي ثقافي، اجتماعي يكون مدركا من جانب فاعلين اجتماعيين، فقد منحت الحرفة لصاحبها الشهرة والتميز وحقق المكانة الرمزية والتي تصبح شكلا من التميز، مثلا "حايك العشعاشي" وهو حايك مصنوع من خيوط الحرير الذي سميا باسم صانعه الحاج العشعاشي .

وبالتالي يصبح هذا الإرث يحمل قيمة ويتحول لرأس مال للعديد من العائلات الحرفية التي اشتهرت وتميزت بإتقانها لحرفة معينة، وفي هذا السياق يقول الدكتور سعيدي محمد " لقد كان للنشاط الحرفي التقليدي دور كبير في التعريف بأصالة الحالة المدنية لعدد من العائلات التي اشتهرت بممارستها لحرفة من الحرف وتوارثها أفرادها أبا عن جد، وظلت متمسكة بما كعنصر أساسي في تحديد هوية انتمائها الحضاري والثقافي والتاريخي والاقتصادي، حمل عددا من العائلات ألقابا وأسماء هي أصلا صفات عرف بها أجداد أيام ممارستهم لعدد من الحرف وبرعهم فيها... ولا زالت هذه الأسماء حية وثابتة في سجل الحالة المدنية مثل عائلة نجار، عائلة حطاب، عائلة قهواجي، عائلة سلعاجي، عائلة دباغ، عائلة دراز وعائلة حداد وعائلة فحام وعائلة سقال وعائلة حجام وعائلة حلاق وغيرها من العائلات... إلخ (محمد سعيدي (2013) ص 74)

أما عن أصل بعض هذه الألقاب المنتسبة للحرفة تنحدر من أصل أندلسية، وهذا ما أشارت إليه الباحث " سعد بوفلجة" ولا زال إلى يومنا هذا تلمسان وكذلك ندرومة، أسر من أصل أندلسي تعرف نسبتها إلى حرفة من الحرف التي كانت تزاو لها في ذلك العهد كفخار، حصار، سقال وبناي وهدام ونجار وإلى آخره (سعد بوفلجة (2011) ص 153)

وهذا يعود لهجرة المورسكيين الذين فروا من بطش الإسبان حيث كانت مدينة تلمسان المقصد المفضل لهذه الجارية الأندلسية، وإن المصادر التقليدية لا تتحدث إلا عن الأعلام المعروفين الذين قاموا بأدوار بارزة في الميادين المختلفة كأسر الأدباء الأجداد، الأطباء والعلماء والكتاب والوزراء والقائمين على الأشغال الكبرى كالمهندسين والعاملين في الميدان المالي والإداري فإن هناك العديد من العائلات التي حطت عصا الترحال بمدينة تلمسان وضواحيها المتكونة من الحرفيين، التجار والفلاحين والأطر الإدارية المتوسطة والمعلمي استقرت بصفة نهائية بمدينة تلمسان (بن سهلة ثاني سيدي محمد (2013) ص 2016)

كان الأندلسيين يتقنون العديد من الحرف المتطورة والصناعات والفنون المختلفة وكان الكثير منهم منتسبين إلى الحرف والصناعات التقليدية التي كانوا يمارسونها، وقد ظهر هذا الانتساب لديهم في القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي إذ نجد في بعض كتب التراجم والأدب والتاريخ ألقابا تدل على التسمي بالحرف والصناعات التقليدية (جهاد غالب مصطفى الزغول (1994) ص 200)

لقد لقب الأديب أبو بكر محمد بن عيسى الداني ابن اللبانة نسبة إلى والدته التي كانت تعمل ببيع اللبن حتى غلب اسم اللبن عليها ونسب أولاده إليها وكذلك لقب الفقيه المقرئ محمد بن أحمد بن عبيد الله بن سعد الأموي، ابن العطار ولقب قاضي القضاة أبو الوليد يونس بن عبد الله ابن الصفار والصابوني كون والده كان يصنع الصابون (مرجع سابق سعد بوفلجة 153)

كما نجد ألقاب يعود أصلها للأتراك في عهد الحكم العثماني الذين عرفوا بانتسابهم للحرفة التي كانوا يمتنونها بحيث هناك العديد من العائلات التلمسانية ذات أصول تركية، مثلا: صاري بن دمارجي، بوشناق، حنطالي، خوجة، إسطمبولي، طبال، قارة، كلاش، كردغلي، بندالي، وغيرهم.

3- جغرافية المدينة (الأحياء والدروب)

تميزت المدن الجزائرية بتجمع الحرفيين وتشكلهم إلى طوائف حرفية، تجمعوا في أحياء، وبالتالي تركت بعض الطوائف بصمات واضحة في الأحياء التي انتشرت فيها صناعة معينة أو حرفة إلى حد إطلاق اسم المكان باسم الحرفة كحي النحاسين، وحي الفخارين، ودرب الحدادين ودرب الحمامين، وجدت قديما ولا زالت باقية إلى وقتنا الحالي رغم اندثار الحرفة.

كان قديما لكل حرفة معينة درب خاص بما لبيتم التعاون والتضامن فيما بينهم لتحسين منتوجاتهم حتى أخذت تلك الدروب اسم الحرفة التي كانت تمارس هناك. وفي هذا السياق يقول الأستاذ سعيد محمد "لقد كان للنشاط الحرفي دور كبير في تحديد جغرافية أحياء ودروب بعض المدن الجزائرية وخاصة منها المدن العتيقة مثل تلمسان مدينة بجاية ومدينة قسنطينة حيث لازالت بعض هذه الأماكن تحمل أسماء الحرف التي كانت تمارس فيها أو كانت مسرحا لأسواق تباع فيها المنتوجات والمواد الأولية وأدوات الإنتاج (مرجع سابق محمد سعيد، ص72)

ولا زالت هذه الأماكن حية ومحفوظة على أسمائها بالرغم من اختفاء الحرف والحرفيين منها وبالرغم من تحول نشاطها التقليدي إلى نشاط آخر ولا زال دروب هذه المدن تعرف بأسمائها القديمة .

كما اشتهرت مدينة تلمسان مند القدم بأسواقها التي كانت تنظم في محيط القسم المركزي للمدينة، بحيث كان الدكاكين الحوانيت تابعة لأرباب الصناعة والتجارة مرتبة ترتيبا جيدا حسب البضائع والسلع المصنعة وكانت بمدينة تلمسان سوق معروف باسم "القيصارية" وهو حي تجاري كبير بوسط المدينة يحيط بالسوق سور به عدة أبواب ويتكون من مجموعة من البنايات بما دكاكين وحوانيت وفوقها مساكن وبها

مساجد وفنادق وحمامات والأفران إلخ ويمكن القول أن كثير من الأحياء والدروب والأسواق بمدينة تلمسان ومساجد تحمل أسماء الحرفة التي كانت تمارس بها وهذا يعد معيار للانتماء الاجتماعي. الخاتمة:

وفي الأخير نقول أن مدينة تلمسان مرت بما حضارات عديدة وهذا الاحتكاك نتج عنه امتزاج ثقافي أدى إلى تطور في مجالات عديدة منها مجال النشاط الحرفي التي أخذت بصمات تلك الحضارات التي مرت بالمدينة، والتي أكسبتها الخصوصية والتميز ومعظم الحرفيين ورثوا حرفتهم من الآباء والأجداد ولا زالوا يحافظون عليها رغم قلتهم ويمارسونها بكل فخر واعتزاز ويعتبرونها أمانة الأجداد، وتعد الحرفة ليست مهنة فقط بل ثقافة يحملون في اللاشعور شيئا من هذه الحرفة، وهذا الإرث يحمل قيمة وبعد رأس مال للعديد من العائلات التلمسانية يميزها ويعاد إنتاجه من خلال توارثه جيل بعد جيل، فهذا النظام الاجتماعي والثقافي الذي ورثه أهل المدينة يعد امتداد لجدورهم التاريخية.

كما حمل العديد من العائلات التلمسانية أسماء وألقاب حرفة معينة مارسها وأتقنها ولا زالوا محافظين عليها ويعتزون بها رغم اندثار الحرفة وبذلك تكون الحرفة عنصرا مميزا للهوية، وتعمل على تحقيق المكانة الاجتماعية والرمزية للعديد من العائلات التلمسانية من خلال إتقانهم وتميزهم لحرفة معينة. كما تجمعت العائلات الحرفية في دروب وأحياء وتجزؤا إلى طوائف حرفية، بحيث كانت كل طائفة متخصصة في حرفة معينة وتركت بعض الطوائف بصمات واضحة في الأحياء التي انتشرت فيها صناعة معينة إلى حد تسمية المكان على الحرفة، ولا زالت بعض الأحياء شاهدة على ذلك وراسخة في ذاكرة سكانها خاصة لدى كبار السن.

في نهاية البحث قدمنا بعض التوصيات أهمها:

التوصيات:

تعد الحرف والصناعات التقليدية فنا حضاريا يقدم عبر الأشكال والألوان والتقنيات شهادة حية لزمان مضى ويشكل كل عمل زيادة للمظهر الإبداعي انعكاسا للحياة اليومية، لدى لابد العناية بهذا التراث الشعبي الذي يعتبر كنزا إثنوغرافيا وحضاريا والاهتمام به في خضم التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية العميقة التي يعيشها العالم والنهوض بها وحمايتها من الاندثار والضياع قصد استمراريته في

مجتمع المعرفة ومسايرته للعصر والعولمة وتكنولوجيا المعلومات والحفاظ على هوية الانتماء الحضاري فضلا عما تمت به من خصوصيات فنية وجمالية.
الخاتمة بالإنجليزية:

In the end, we say that the city of Tlemcen passed through many civilizations, and this friction has produced a cultural mixture that led to the development in many areas, including the artisan industry that been influenced by those civilizations that passed through the city, and which gave it privilege and distinction despite their rareness, they still practice it with pride and consider it as an honor and sincerity of the ancestors, and the artisan is not only a job but a culture that they subconsciously carry, and this legacy carries value and is a fund for many Tlemcen families that distinguish them and reproduce them through their inheritance from generation to generation, this is the social and cultural system that the people of the city inherited it as an extension of their historical roots.

Many Tlemcen families also carried names and nicknames for a specific craft they practiced and mastered, and they still preserve and cherish it despite the disappearance of the craft. Thus, the craft is a distinctive element of the identity, and it works to ascertain the social and symbolic status of many Tlemcen families through their mastery and distinction of a particular craft.

Artisan families also gathered in paths and neighborhoods and were divided into craft sects, so that each sect specialized in a specific craft and some sects left clear imprints in the neighborhoods in which a certain industry spread to the point of naming the place after that certain craft, and some districts still bear witness to this and are embedded in the memory of their residents especially for elder people

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور (1994) لسان العرب دار الصادر المجلد الثامن.
2. أحمد زكي بدوي (1970) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي فرنسي، عربي، مكتبة لبنان.
3. إيكه هولكترانين (2007) قاموس مصطلحات إتنولوجية والفلكلور، ترجمة محمد الجوهري.

4. بن سهلة ثاني سيدي محمد (2013) المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر، تلمسان، نموذجا، رسالة دكتوراه العلوم.
5. جهاد غالب مصطفى الزغول (1994) الحرف في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، مذكرة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية.
6. سعد بوفلحة (2011) أوراق تلمسان، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر.
7. صلاح الدين شريوخ (2003) منهجية البحث العلمي للجامعيين دار العلوم.
8. عائشة غطاس (2007) الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية اقتصادية، منشورات ANEP
9. عبد الرحمن ابن خلدون (2005)، مقدمة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان الجزء الأول الثاني.
10. علي بزي (2015) الحرف التقليدية وأهمية دراستها، مجلة الثقافة الشعبية البحرين العدد الثالث عشر.
11. زهر مساعديه (2013) نظرية الانتماء، دار الخلدونية، الجزائر.
12. ماكس فيبر الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ترجمة محمد علي مقلد مركز الإنماء القومي، بيروت.
13. محمد العربي حرز الله (2011) تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافية دار السبيل الجزائر.
14. محمد سعدي (2013) مقدمة في أنثروبولوجيا مظاهر الثقافة الشعبية، دار الخلدونية، الجزائر.
15. موريس أنجوس (2006) منهجية البحث العلم ي في العلوم الإنسانية، ترجمة ويد صحراوي، دار القصة.

قائمة المراجع بالإنجليزية:

1. . Abd al-Rahman Ibn Khaldun (2005), Ibn Khaldun's Introduction, The Book of Lessons and the Diwan of Beginners and News, Cultural Books Foundation, Beirut, Lebanon, Part One and Two .
2. . Ali Bazzi (2015) Traditional crafts and the importance of studying them, Bahrain Popular Culture Magazine, issue thirteen.
3. . Ben Sahla Tani Sidi Mohamed (2013) Andalusian Civilization Influences on Cultural Identity in Alegria, Tlemcen, as a model, Doctoral thesis.
4. . Eke Holktranin (2007) Dictionary of Ethnological and Folklore Terms, translated by Mohamed Al Jawhary.
5. . Ibn Mandur (1994) Lisan al-Arab, Dar al-Sadr, volume eight.
6. . Jihad Ghaleb Mustafa Al-Zogoul (1994) The Letters in Andalusia from the Islamic. Conquest until the Fall of Granada, Master's Note in History, College of Graduate Studies at the University of Jordan.

7. . Lazhar Mosaediya (2013) The Affiliation Theory, Dar Al Khaldunia, Algeria
8. . Max Weber, Protestant Ethics and the Spirit of Capitalism, translated by Muhammad Ali Makled, National Ending Center, Beirut.
9. . Muhammad Al-Arabi, Harz Allah (2011) Tlemcen, the cradle of civilization and a cultural oasis, Dar Al-Sabil, Alger.
10. Mohamed Saidi (2013) Introduction to the Anthropology of Popular Culture, Dar Khaldouniyah, Algeria.
11. . Saad Boufalja (2011) The Tlemcen Papers, Bona Research and Studies Publications, Algeria.
12. . Salah al-Din Shreyukh (2003) Scientific Research Methodology for University Students, Dar al-Ulum .
13. Ahmed Zaki Badawi (1970) A Dictionary of Social Sciences Terms English French, Arabic, Library of Lebanon
14. Aicha Ghattas (2007) Crafts and Craftsmen in Algiers 1700-1830 A Socioeconomic Approach, ANEP Publications.
15. Maurice Ingres (2006) Methodology of Scientific Research in the Humanities, translated by Wade Sahraoui, Dar Al-Kasbah.

مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث العدد 02 (05) 2022/03/15

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

**The crafts and traditional industrie and the identity
Anthropological study with a family affiliation
in Tlemcen city
Drici tani Soulef,
University Abou Bakr Belkaid,Tlemcen,Algérie
drici_tani@live.fr
<https://orcid.org/0000-0001-5929-585X>**

Abstract:

we aim through in the study to reveal the role of crafts and traditional industry in strengthening the identity of family belonging,as they are an important part of cultural heritage,as they give its members a distinction which works on its cohesion, its stability and its crystallization of its identity, on the basis that traditional crafts and Industries are part of the popular heritage with its possessions of continuous and extensive cultural creativity through the centuries as well as we try to reveal the most important types craftsmanship and traditional industries that characterize the community of Tlemcen and explore how and when craftsmanship is linked to identity.

keywords: The crafts and traditional industry,The heritage,The identity,The family affiliation,The socialization